



ISSN: 2957-3874 (Print)

Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)

<https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95>

مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي



اللفظ القرآني بين الحقيقة والتأويل الحرف (لعل) في الخطاب الفرعوني مثالا

م.د حسن مجلي جابر

الكلية التربوية المفتوحة / مركز الديوانية

The Qur'anic Expression between Literal Meaning and Interpretation:
The Particle "La'alla" as a Model in Pharaonic Discourse.

Lecturer: Dr. Hasan Majli Jaber

Ministry of Education / General Directorate of Education in Al-Diwaniyah
Open Educational College / Al-Diwaniyah Cen

hasnj102@gamil.com

ملخص البحث :

يتناول البحث النص القرآني بتركيبه وألفاظه التي تألف منها ، وكيف يكون مرآة تعكس الصورة الحقيقية للظروف التي أنشأت هذا الخطاب ، وقد ركز البحث على بعض ألفاظ القرآن وهو الحرف (لعل) في حوار فرعون مع قومه . وقد خلص البحث الى أن توجيه الكوفيين لدلالة (لعل) على الترجي في قراءة عاصم هي الأوجه وهو معنى يوافق دلالة النص في القراءات جميعها، وأن النص القرآني يناسب تلك الثقافات المتمركزة في ذلك المجتمع ، وان الاستعمالات القرآنية ليس غايتها التنوع في استعمال اللفظ لأجل التنوع والتغاير من غير قصد ، وإنما أراد بألفاظه التعبير الدقيق عن المحتوى الحقيقي وما يحيط به من ملايسات في مستويات السياق كلها .
الكلمات المفتاحية : اللفظ القرآني ، الحقيقة ، التأويل ، لعل ، الخطاب الفرعوني ، السياق ، الدلالة .

Abstract

This study examines the Qur'anic text in terms of its structure and constituent lexical items, and how it serves as a mirror reflecting the true nature of the circumstances that gave rise to this discourse. The research focuses on a specific Qur'anic particle, la'alla ("perhaps"), as it appears in Pharaoh's dialogue with his people. The study concludes that the Kūfan grammarians' interpretation of la'alla as expressing hope or expectation (tarajjī) in the reading of 'Āṣim represents the most plausible view. This meaning accords with the semantic implications of the text across all Qur'anic readings. The findings further demonstrate that the Qur'anic text is attuned to the cultural frameworks prevalent within the society in which the discourse is situated, and that Qur'anic usage is not characterized by arbitrary lexical variation for the sake of diversity alone. Rather, its lexical choices are intended to convey precise meanings that faithfully reflect the real content of the discourse and the surrounding circumstances across all levels of context. Keywords: Qur'anic lexeme; literal meaning; interpretation; la'alla; Pharaonic discourse; context; semantics.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد واله الطيبين الطاهرين وبعد .من الضروري أن نقول في أول حديثنا: إننا حين ندرس نصا إعجازيا كالقرآن الكريم لا بد من أن نعي حقيقة مفادها: أن استعمال الالفاظ في نظائر هذه النصوص - بحسب ما أبانت عنه الدراسات المتقدمة والمتأخرة - يشكل محورا مهما وبؤرة استنتاجية لكي نصل إلى محتواها؛ لأن انتقاء اللفظ في أمثال هذه النصوص الابداعية لم يوضع وضعا اعتباطيا بقدر ما يراد منه الكشف عن كل الملايسات المحيطة بأطراف الخطاب، أي إن النص القرآني بتركيبه والفاظه التي تألف منها إنما أريد منه أن يكون مرآة تعكس الصورة الحقيقية للظروف التي أنشأت هذا الخطاب وانطلاقا من هذا المستوى المعرفي نود هنا دراسة بعض ألفاظ الحوارات القرآنية وهو لفظ (لعل) في حوار فرعون مع قومه الذي قيل فيه إنه خرج عن مراده الذي عرف به ممن اضطر كثير من

الدراسين والمفسرين لهذا النص أن يذهبوا به مذهب التأويل عن معناه الحقيقي، وهو قوله تعالى: (فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْخًا لَعَلِّي أُطَّلِعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ) [القصص: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ **أسباب السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا** [غافر: ٣٦-٣٧] .

توطئة:

يعد الحرف (لعل) - بحسب ما بينه النحويون والبلاغيون - من حروف الترجي في المحبوب، وهو الأكثر، وأقل منه هو التوقع في المحذور، أي إنه يستعمل في الممكن خلافاً لـ(ليت)، وقيل: إن الأصل فيها من غير لام، فيقال: (ادرس علك تنجح)^(١)، إلا أن الاستعمال القرآني لم يرد على مثله، إذ لم يكن إلا مع اللام، قال تعالى: ﴿ يُوَسِّفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتَتًا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَنَعٌ وَعَجَافٌ وَسَنَعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ [هود: ١٠] وفي مقابل ذلك أبان النحويون أن (ليت) تستعمل في المواضع التي لا يرجى وقوعها، قال المالقي (٧٠٢هـ): "اعلم أن ليت لم تجئ في كلام العرب إلا حرف تمن"^(٢)، ويشهد لهذه القاعدة الاستعمال القرآني؛ إذ إن (ليت) التي جاءت في القرآن في نحو: أربعة عشر موضعا لم تتخل في واحد من هذه المواضع عن الدلالة المتقدمة من نحو: قوله تعالى: ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٧٣]، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ [النبا: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ **يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي** [الفجر: ٢٣-٢٤]، فهذه النصوص كلها تشير باستحالة تحقق مضمون الجملة بعد (ليت). ثم إن الدرس النحوي أبان عن خلاف في الفاء الناصبة للفعل المضارع بعد أسلوب الترجي فأجازه الكوفيون، ومنعه البصريون استنادا إلى قراءة عاصم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ **أسباب السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا** [غافر: ٣٦ - ٣٧]، فقيل: "وليس للترجي عند البصريين جواب منصوب، وتأولوا قراءة حفص ﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ **أسباب السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ** على أن (لعل) أشربت معنى ليت"^(٣) خلافا للكوفيين الذي تمسكوا بالآية الكريمة نفسها ليكون الترجي دليلا في النصب^(٤). وليس كلام بعض البلاغيين ببعيد عن أقوال النحويين في الآية الكريمة كالكساكي (٦٢٦هـ)، والفزويني (٧٣٩هـ) الذي قال: "وقد يتمنى ب(لعل) فتعطي حكم ليت نحو: لعلني أحج فأزورك بالنصب لبعده المرجو عن الحصول، وعليه قراءة عاصم في رواية حفص: ﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ **أسباب السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى**"^(٥) وأما المفسرون - وإن كان لبعضهم مدونة نحوية - فإنهم ذهبوا في توجيه الآية استنادا إلى كتبهم التفسيرية على ثلاث مذاهب:

١ - تشبيه الترجي بالتمني، أي إن مفسري هذا الوجه ذهبوا مذهب الكوفيين، قال الزمخشري (٥٣٨هـ): "وقرئ: (فأطلع) بالنصب على جواب الترجي، تشبيهاً للترجي بالتمني"^(٦)، وهذا التشبيه الذي أشار إليه الزمخشري لا يعني تضمين (لعل) معنى (ليت)، وإنما إخراج الترجي في النصب بعد الفاء مخرج التمني.

٢ - جواب الطلب: أي إن المفسرين منعوا أن يكون للترجي عمل التمني، فمنعوا النصب ب(لعل) وتأولوا النصب في آية غافر على أنها جواب الطلب من قوله تعالى: ﴿ هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْخًا ﴾، قال أبو حيان التوحيدي (٧٤٥هـ): "وأما هنا، فأطلع، فقد جعله بعضهم جواباً للأمر، وهو قوله: ﴿ ابْنِ لِي صَرْخًا ﴾، علماً أن أبا حيان في آية عيسى تبني مذهب التوهم، أي إن النصب في (تنفعه) منشؤه التوهم في حذف (أن) الناصبة الذي يكثر مجيؤها في خبر (لعل)، قال أبو حيان: "وقد تأولنا ذلك على أن يكون عطفاً على التوهم؛ لأنّ خبر (لعل) جاء مقروناً ب(أن) في النظم كثيراً، وفي النثر قليلاً. فمن نصب، توهم أنّ الفعل المرفوع الواقع خبراً كان منصوباً ب(أن)، والعطف على التوهم كثير، وإن كان لا ينقاس، لكن إن وقع شيء وأمکن تخريجه عليه خرج"^(٧).

٣ - (لعل) للتمني: وفي هذا الوجه جعلوا (لعل) في النص الشريف للتمني، وليس للترجي، وهو ما تبناه ابن عطية (٥٤٢هـ)، فقال: "وقرأ الجمهور فأطلع بالرفع عطفاً على أبلغ وقرأ حفص عن عاصم والأعرج فأطلع بالنصب بالفاء في جواب التمني"^(٨). ويبدو أن بعض المفسرين كابن عاشور (١٣٩٣هـ) قد جمع بين الوجه الأول والثالث فقال: "وقرأ حفص عن عاصم بالنصب على جواب الترجي لمعاملة الترجي معاملة التمني وإن كان ذلك غير مشهور، والبصريون ينكرونه... وقد تكون له ههنا نكتة وهي استعارة حرف الرجاء إلى معنى التمني على وجه الاستعارة التبعية إشارة إلى بعد ما ترجاه..."^(٩) (إذن يكاد يتفق كثير من البلاغيين والمفسرين على أن (لعل) في الآية الكريمة خرجت إلى معنى التمني استناداً إلى قراءة حفص عن عاصم.

الدراسة

تعد الآيات الكريمة [القصص: ٣٨]، و[غافر: ٣٦ - ٣٧] التي يروم البحث النظر فيها هي من آيات الحوار الفرعوني في القرآن الكريم الذي اتخذ اشكالا متعددة ، وربما يلحظ القارئ لكتاب الله تعالى كثرة تكرار قصة نبي الله موسى ﷺ وفرعون ، التي بين كثير من الدراسات أسباب تكرارها، واختلاف صيغها بين سورة وأخرى ، ولا يريد البحث هنا النظر في ذلك التكرار ودلالاته ، وإنما الذي يُعنى به هنا هو النظر في الخاصية اللغوية للخطاب الفرعوني خاصة مع قومه حين ادعى الربوبية والالوهية. فعندما انتهى فرعون خطابه مع موسى ﷺ ، ودحظه للبيانات التي لم يستطع ردها ، اتجه نحو قومه ، قائلاً لهم مرة : (انا الهكم) ، واخرى : (انا ربكم) ، وقد صور الله تعالى ذلك في كتابه الكريم ؛ إذ يقول : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى ﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أطَّلِعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِنِنَّا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ [القصص : ٣٦ - ٣٩] ، وقال تعالى : ﴿ قَالَ لئن اتَّخَذَتِ إِلهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء : ٢٦] ، وقال تعالى : ﴿ هل أتاك حديثُ موسى إذ ناداه رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿ قُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴿ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿ فَآرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ [النازعات : ١٥ - ٢٥] إذن يصور القرآن الكريم في الآيات الألفية الطرق التي سلكها نبي الله موسى ﷺ لهداية فرعون وقومه من الضلالة ، إلا أن فرعون أبى واستكبر على تلك الدعوات ، مبينا تارة أنه هو الاله الذي لا بدّ من الامتثال لأمره ، وأنه الرب الاعلى الذي يعلو كل الارباب ، ويضم هاتين الدعوتين (الالوهية والربوبية) إلى بعضهما، التي تشير احدهما إلى العبادة ، والاخرى إلى التدبير ، أو سوق الشيء إلى جهة الكمال ، مثلما دلّ عليه أصلهما اللغوي^(١٠) ، يترجح أن فرعون كان يعي الفرق بين هاتين الصفتين، وبين صفة الخالق فيما لو ادعاها لنفسه ؛ إذ إنّه لو ادعى لنفسه ذلك لاقضى منه أن يخلق شيئا في وقت حاجاه مع موسى ، وهو يعلم علم اليقين أن لا قدر له على ذلك ، وهذا ما أشار اليه الرازي (٦٠٦هـ) من أن اثبات فرعون إلى الوهية نفسه " ليس المراد منه أنه كان يدعي كونه خالقاَ للسموات والأرض والبحار والجبال وخالقاَ لذوات الناس وصفاتهم "^(١١) . لكنّ تلك الدعوتين كانت تتناسبان مع المعتقدات إلى ترتكز في عقول ذلك المجتمع آنذاك ؛ من " أن ملك مصر في زمانه كان اسماعيلياً ، وهو مذهب يعتقدون فيه إلهية ملوكهم"^(١٢) . إلا أنّ الملاحظ في آية القصص أنه لم يوجه النفي إلى الإله ، وإنما نفي علمه ؛ ليؤدي هذا النفي الى نفي الإله كناية ، وفي الوقت نفسه يبين لهم أنه أحاط بعلوم كل الأشياء^(١٣) وفي عبارة أخرى كأنه أراد القول: إنني أمتلك العلم في كل شيء ، ومن علمي انه لا يوجد أي إله غيري ، ولو فرضنا أن ثمة إلهاً فسوف أبني صرحاً حتى استعلم عن ذلك الإله وإن كان ذلك عبثاً ؛ لكون موسى من الداخلين والثابتين في الكذب ، وهذا ما قد يفاد من قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ بدلا من قوله مثلا (واني لأظنه يكذب) وأما ما يلاحظ ثانيا في الآية الأخرى وهو ادعاءه الرب الأعلى من كل رب ، في ضوء قوله : ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ ، فينسب لنفسه الربوبية العليا مستعملا اسم التفضيل الذي ينبئ عن وجود أرباب غيره أقل علو منه ، فنسب إلى نفسه العلو والارتقاع فوق كل الارباب ، وقد تنبه صاحب الميزان إلى ذلك فقال : " دعوى الربوبية وظاهره أنه يدعي أنه أعلى في الربوبية من سائر الأرباب التي كان يقول بها قومه الوثنيون فيفضل نفسه على سائر آلهتهم . ولعل مراده بهذا التفضيل مع كونه وثنيا يعبد الآلهة كما يدل عليه قوله تعالى حكاية عن ملئه يخاطبونه: ﴿ أتذر موسى و قومه ليفسدوا في الأرض ويدرك وآلهتك ﴾ [الأعراف: ١٢٧] إنه أقرب الآلهة منهم ، تجري بيده أرزاقهم ، وتصلح بأمره شؤون حياتهم ، ويحفظ بمشيئته شرفهم وسؤددهم، وسائر الآلهة ليسوا على هذه الصفة^(١٤) ، فهذا مضمون ما تعرض له بعض المفسرين في أقوال فرعون. إلا أن الذي لا بدّ من التنبه له هو لجوء فرعون إلى ادعاء الالوهية والربوبية ، دون أي شيء آخر مثل الملوكية ، أو الاقتدار ، أو غيرها من الامور التي تدل على علو المكانة ، ورفعة الشأن. نعم قد لا يغيب عن الذهن أن قول فرعون الظاهر الذي هو ادعاء الالوهية يترجح أن يكون قد نتج من شدة كفره بالله ، لكن هناك ايهامات يضمهر هذا القول - غير التي اشير اليها آنفاً، وغير ما في قوله من ابطال دعوة موسى ﷺ إلى الله سبحانه وتعالى التي تتبين كذلك بالمعنى الظاهر من العبارة - فبصرف النظر عن ذلك كله فإن قول فرعون يوحي إلى أن المجتمع آنذاك يمتلك ثقافة الايمان بالغيب، أي إنه يتضمن الاعتقاد بالجانب الغيبي عند ذلك المجتمع نحو الاله الذي يكون فوق كل الآلهة ، وأن هذه الآلهة المتعددة هي وسائل للوصول اليه زيادة على ذلك تبيين هذه النصوص معرفة فرعون بقومه من كونهم يعتقدون بالشيء المادي أو المحسوس اكثر من الغيبيات ، وهذا ما يلحظ عادة من خطاب فرعون مع قومه ، قال تعالى : ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ؛ لذلك طرح نفسه ربا والها مشاهدا يعلو كل الارباب والالهة ، فكان أقرب الى ما يعتقدونه من حيث المحسوس ، ومن حيث وجود الاله أو الرب الذي لا يعلوه أحدا ؛ ولذلك قال (أنا ربكم الأعلى) فيتبين من ذلك أن كلا الموقفين استعمل فيهما

خطابا دينيا ، وسلموا له ؛ لكونه يتناسب مع معتقداتهم ، وربما يكون ابن عاشور قد لمح الى شيء من هذا المضمير إذ يقول : " والقول الذي نادى به هو تذكير قومه بمعتقدهم فيه فإنهم كانوا يعتبرون ملك مصر إلها لأن الكهنة يخبرونهم بأنه ابن (آمون رَع) الذي يجعلونه إلها ومظهره الشمس" (١٥) وما يخلص اليه القول: ان النص القرآني سيق بهذه الكيفية ليكون مرآة تحكي ذلك الواقع، او يمكن القول بعبارة اخرى: إن ولادة هذا النص يناسب رحم تلك الثقافات المتمركزة في ذلك المجتمع ولا يعني ذلك أن فرعون بعيد عن ذلك ، بل إن هذه الثقافة مغروسة في نفسه أيضا ، وأنه يعدّ نفسه إلها وربما ، مع إمكان الوصول إلى أي شيء يريده ، وهذا ما يبديه قوله إلى هامان التي بيّنها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ [غافر : ٣٦] ، أو قوله تعالى : ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُطْعَمُ إِلَى إِلَهِي مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [القصص : ٣٨] ، فالذي يظهر من هذا النص هو التناغم مع معتقد فرعون إن لم نقل بالمطابقة ، ويكون استعمال (لعل) في كلتا الآيتين التي أشار إليها بعض علماء النحو والدارسين أنها بمعنى (ليت) مثلما ذكر آنفا، أو أن استعمال فرعون لها كان استعمالا ينم عن جهله وقصوره مثلما قيل (١٦) ، أو أن استعمال القرآن لها كان استعمالا مجازيا ، كل ذلك يعدّ محط نظر إن لم يجانب الصواب؛ لأن فرعون لو قصد انزياح هذا الحرف عن معناه الذي وضع له ، أي ارادة التمني لأقرّ بعجزه صراحة ، وهذا يخالف معتقده أو دعوته من كونه الإله والرب الأعلى ، وأن لا رب ولا إله غيره. لذا يبدو أن استعمال (لعل) كان كاشفا عن أن ثقافة فرعون الحقيقية هو الاعتقاد الجازم أنه هو الاعلى ، وأنه بإمكانه الوصول أو النفوذ الى كل ما يريد ، وهذه الثقافة تتناغم ذلك المجتمع .ويمكن لحاظ ذلك التناغم الفرعوني في الحوار القرآني الذي دار بين فرعون وقومه من جانب ، وبين موسى ﷺ ، قال تعالى : ﴿ قَالَ أُولُو حِجَّتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾ قَالَ فَأَتَتْ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿ قَالَ لِمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ [الشعراء : ٣٠ - ٣٦] ، ففيه يبين أن فرعون متقين من علوه في ضوء تحديه لموسى ﷺ ، قائلا له : ﴿ قَالَ فَأَتَتْ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ؛ إذ لو كان فرعون غير متقين ، لما أتى بالقيّد المتصدر بأداة الشرط التي تستعمل للشك^{١٧} ، وهو قوله : ﴿ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ، وهذا يعني أنه يشك في قدرة موسى ﷺ في أن يأتي بمعجزة ولو لم يكن الأمر كذلك لخاف من افتضاح أمره على الملأ ولطلب منه ذلك على مرأى ومسمع خاصته المقربين، وليس على مرأى ومسمع من المجتمع عامة، لكن ما نشهده من النص أن فرعون تحدى موسى ﷺ معلنا ذلك التحدي على كل ذلك المجتمع تحداه بأن يأتي بمثل ذلك إن كان يصدق في دعواه بل إنه لما شاهد آية موسى ﷺ أكد لقومه أن هذا فعل ساحر ، وطلب مشورتهم ، فكان قولهم ينم عن معتقد أشبه بيقين فرعون حين تحدى موسى ﷺ مثلما عبر عنها القرآن الكريم ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ ، أي إنهم طلبوا تحدي موسى على مرأى ومسمع من المجتمع آنذاك ، وهذا يوحي الى توافق بين فرعون وقومه في ما يعتقدونه بالرب والاله بل إن هذا التجذر الثقافي من الاعتداد بالربّ او الاله المشاهد ، وتقديمها على الغيبيات قد لحظ حتى عند من آمن بموسى عليه السلام ، فلم ينحسر ذاك التجذر امام الايمان الذي لم يستطع أن يقنع تلك الجذور او يحمها ، ومما يمكن الاستدلال على ذلك أن هذا المجتمع لم يتخل عن ثقافته هذه حتى بعد الإيمان برب موسى وتنجيتهم ، وظهور المعجزات أمام أعينهم ، وآخرها انفلاق البحر لهم ، فبعد كل ذلك حينما قام السامري بقلته ، التي أشار إليها القرآن ، في قوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ﴾ [طه : ٨٨] ، رجعوا إلى تلك الثقافة ، وسجدوا الى ذلك العجل متخذينه الها جديدا .اذن نحن امام لفظ قرآني أريد منه أن يصوّر ذلك الحوار بكل ملبسته وابعاده؛ إذ لو قرئ هذا النص من وجه آخر ، أي أن ننتقل من النص إلى صاحبه ، يمكن القول : أن استعمال (لعل) وما لها من دلالة الترجي التي تقارق مفهوم التمني أن الله تعالى أراد به أن يصور حال فرعون ومعتقداته التي كان عليها وهو الكفر الحقيقي بالله، وأنه لم يعرفه قط بدليل قوله حين علم أنه سيعرق لا محال فقال تعالى بلسان حال فرعون : ﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ أَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس : ٩٠] فلم يوجه خطابه لله تعالى من نحو (لا اله الا الله) أو (لا اله الا انت) ، وانما قال : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾ .ويمكن القول في ضوء ما تقدم: إن الذي يراد باللفظ او النص القرآني المختار من الله تعالى هو تصوير الحال الحقيقية ، فيكون اللفظ في أصل اختياره هو نتاج لدقائق تلك الحال ومرآتها ، " فاذا شاء الله أن يتكلم بالفاظ وينزل آيات منه على صورة كلمات وجمل فيقتضي حكمته واتقانه ان يختار ما هو الحقيقة ويستعمل ما هو أدلّ على المراد فيعرف المنظور على ما هو عليه من الخصوصية والدقائق واللطائف"^{١٨} . اما ان تحمل الالفاظ على المجاز لأدنى ملابس أو عدم تصور المقام الذي قيلت فيه النص فهذا قد يذهب بكثير من الدلالات أو المعاني المتوخاة التي أراد الله تعالى أن يضعه للمتلقى .

في ضوء ما تقدم يمكن القول باطمئنان : إن توجيه الكوفيين لدلالة (لعل) على الترجي في قراءة عاصم هي الاوجه وهو معنى يوافق دلالة النص في القراءات جميعها ، وفي الوقت نفسه يفضي هذا الوجه الى أن اختلاف القراءات القرآنية لا ينبعث منها اختلاف المعاني القرآنية المتضادة المنبثقة من اختلاف دلالات الفاظه لتتحول في قراءة الرفع ترجيا يمكن الحصول عليه ، وفي قراءة النصب تمنا لا يمكن ادراكه وما يفضي هذا الاختلاف من تصورات للمتلقي عن قائل النص التي قد تخالف المعطيات الحوارية الاخرى وابعادها زيادة على ذلك يمكن القول كذلك : إن الاستعمالات القرآنية ليس غايتها التنوع في استعمال اللفظ لأجل التنوع والتغاير من غير قصد ، وإنما ما يصار اليه أن القرآن أراد بألفاظه التعبير الدقيق عن المحتوى الحقيقي وما يحيط به من ملابسات في مستويات السياق كلها سواء الاجتماعية كانت ام الفكرية ام النفسية ام غيرها حتى يكون المقال متحدثا حقيقيا او مرآة يلحظ في ضوئها رؤية النص بكل ابعاده

روافد البحث

القرآن الكريم

- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : ط/١ ، مطبعة أمير المؤمنين ، قم - طهران ، ١٤٢١ هـ .
- الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمن بن عمر ، جلال الدين القزويني ، المعروف بخطيب دمشق (٧٣٩ هـ)، تح: محمد عبد المنعم خفاجي ، ط/٣ ، دار الجبل - بيروت ، د - ت .
- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (٧٤٥ هـ) ، تح : صدقي محمد جميل ، د - ط ، دار الفكر - بيروت ، ١٤٢٠ هـ
- التحرير والتتوير ((تحرير المعنى السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)) : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣ هـ) ، د - ط ، دار التونسية للنشر - تونس ، ١٩٨٤ هـ .
- التحقيق في كلمات القرآن الكريم : المحقق المفسر حسن المصطفوي ، ط/١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٩ م .
- الجني الداني في حروف المعاني : أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (٧٤٩ هـ) ، تح : د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل ، ط/١ ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .
- رصف المباني في شرح حروف المعاني
- العقيدة من خلال الفطرة في القرآن : آية الله جواد آملی : د - ط ، دار الصفة ، د - م ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٩ م .
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل : للعلامة جار الله أبي القاسم محمود ابن عمر الزمخشري (٥٣٨ هـ) ، تحقيق وتعليق ودراسة : الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، وشارك في التحقيق : أ . د . فتحي عبد الرحمن احمد حجازي ، ط/١ ، مكتبة العبيكان ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (٥٤٢ هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط/١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٢٢ هـ .
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب : لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن احمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري (٧٦١ هـ) ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط/١ ، دار الصادق ، طهران - إيران ، ١٣٨٤ هـ .
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (٦٠٦ هـ) ، ط/٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ
- الميزان في تفسير القرآن : للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (١٤٠١ هـ) : تح : الشيخ أياد باقر سلمان ، وقدم له : السيد كمال الحيدري ، ط/١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .

هوامش البحث

- ١ - ينظر : رصف المباني في شرح حروف المعاني ، المالقي : ٤٣٤ .
- ٢ - رصف المباني : ٣٦٦
- ٣ - الجني الداني في حروف المعاني ، المرادي : ٧٤
- ٤ - ينظر : المصدر نفسه : ٧٤ .

- ٥ - الايضاح في علوم البلاغة: ٥٤/٣ .
- ٦ - الكشف : ١٦٧/٤ .
- ٧ - البحر المحيط : ٤٦٦/٧ .
- ٨ - ينظر: المحرر الوجيز : ٥٦٠/٤ .
- ٩ - التحرير والتنوير : ١٤٦/٢٤ .
- ١٠ - ينظر : التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، مصطفىوي : ١٣١/١ و ٢٧/٤ .
- ١١ - مفاتيح الغيب : ٥٩٩/٢٤ .
- ١٢ - البحر المحيط : ٣٩٩ / ١٠ .
- ١٣ - ينظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور : ٢٠ / ١٢١ .
- ١٤ - الميزان : ١٠٤ / ٢٠ .
- ١٥ - التحرير والتنوير : ٨٠ / ٣٠ .
- ١٦ - مغني اللبيب عن كتب الأعراب : ٥٥١/١ ، وينظر : الجنى الداني في حروف المعاني ، المرادي : ٧٤ .
- ١٧ -
- ١٨ - التحقيق في كلمات القرآن : ١٦/١ .